مجلة الدراسات الإسلامية (Al-Dirâsât Al-Islâmiyya) / المجلس الإسلامي الأعلى/ المجلد 22 ع 02
20 صفر 1444 هـ. الموافق 16/ 09/ 2022
ISSN: 1112-4083

الحوار العقلاني بين المسيحية والإسلام سهيل فرح أنموذجا

Rational dialogue between Christianity and Islam

Suhail Farah as a paradigm

أد. بوعرفة عبد القادر* Pr. Bouarfa Abdelkader Bouarfah9@gmail.com	فلسفة	كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران2

الإرسال: 14/09/ 2022 **القبول**: 2022/09/16 **النشر**: 2022/09/16

ملخص

إن الحوارَ العقلاني بين الديانة المسيحية والإسلامية تعترضه عوائق جمة، ويحتاج إلى مقدمات رئيسة، فالحوار العقلاني ليس بالأمر المُيّسر ولا السّهل، ولكنه في الوقت نفسه ليس بالأمر الصّعب ولا المُمتنع، والحوار العقلاني يتمأسس على جملة من المقدمات سنذكر في هذا المقال بعضها حسب الأهمية والحاجة المُلحة.

كلمات مفتاحية: حوار؛ عقلاني؛ الإسلام؛ المسيحية؛ الوعي.

Abstract

The rational dialogue between the Christian and Islamic religions faces many obstacles.

And it needs major introductions, for the rational dialogue, it is neither easy nor facile, but at the same time it is neither difficult nor impossible, and the rational dialogue is based on a major of introductions.

In this article, we will mention some of them according to the importance and urgent need.

Keywords: dialogue, rationality, Islam, Christianity, awareness.

*سؤال البدء

ينطلق د. سهيل فرح في كتاباته من أرضية العقلانية العلمية التي يؤمن بها، ثم من نفحات الروح العلمية التي ظلت مطلب فلاسفة العلم منذ زمن غير بعيد، فالحوار في حد ذاته وليد العقلانية العلمية، لأن الدوغمائية ترفضه كشكل من أشكال التعايش الفكري بين الشعوب. إذ يعتبر الحوار في المنظومات المُغلقة عتبةً للتشكيك في المعتقدات والمعارف المُسيجة لفكر الجماعة أو الطائفة.

إن الحوارَ لغة العقل المفتوح على كل المعارف، ومنه يصبح معتنق فلسفة الحوار ممتلكا لهاجس البحث عن الحقيقة خارج حقل الأنا والآخر، لأن الحقيقة تكمن هناك حيث لا تعيّن ولا تحيّن.

* - الباحث المُرسل: Bouarfah9@gmail.com

ISSN: 1112-4083

والحوار ليس من طينة واحدة، فأغلب المفاهيم الشائعة عنه لا تخرج عن السّجال والجدل، بيد أن الحوارَ ليس جدلاً ولا مناظرة تستوجب الفائز والخاسر، بل الحوار العقلاني الذي يدعو إليه سهيل فرح هو الحوار الذي يُثمن الإيجابي عند الآخر ويدعو إلى التفاعل معه.

إن الآخر يتلقى خطاب التّثمين لمعتقده ومعتنقه بروح إيجابية ونفسية منبسطة، فهو يبحث عن الفضاء الإيجابي في معتقد ومعتنق الآخر، عندئذ يحدث التقارب النسبي الذي يمكن أن يُرسم علاقات طيبة بين الأطراف المتصارعة عبر التاريخ.

إن الحوار الذي يتجه نحو الانتصار بذكر سلبيات الآخر ينتهي دوما إلى الانغلاق والتّطرف، ويُوسع الفجوة بين الأطراف المتصارعة، ولا يدفع البحث عن الإيجابيات ونقاط التّقاطع. ونحن نعتقد أن الحوار الإسلامي المسيحي ظل منذ قرون متسما بظاهرة الأنا المتفوق وصاحب الحق المطلق، مما صعب أي تقارب أو تجاور بين الطرفين.

إن الحوار العقلاني الذي يدعو إليه د. سهيل فرح تعترضه عوائق وتُقعده مقدمات رئيسة، وهو يعي أن الحوار العقلاني ليس بالأمر الميُّسر ولا السّهل، ولكنه في الوقت نفسه ليس بالأمر الصّعب ولا المُمتنع، فالحوار العقلاني يتمأسس على جملة من المقدمات نذكر منها ما يلي:

1- مقدمات الحوار

أولاً : **الحوار الذاتي**:

الحوار مع الآخر لا يمكن أن يكون حوارا مثمرا إلا إذا كان المُحاور أصلا يمتلك القابلية للحوار، ولا يمكن أن يمتلك القابلية للحوار إلا إذا مارسها كتجربة ذاتية مع نفسه، أي أن يحاور ذاته، فالحوار الذاتي يُمكن الذات من تفهم الغاية والتدرب على الآلية، فتجربة الحوار الذاتي تتغلب على مضادات الحوار، وخاصة ما يتعلق بالعوائق النفسية.

إن الحوار الذاتي كتجربة مُحاول جعل الذات تتجه نحو تثمين الإيجابي ومعرفة السلبي، فنحن لا نعرف ذواتنا جيدا بل نحاول أن نغطي ذواتنا بغطاء النرجسية، إن معرفة الذات عن طريق آلية النقد الذاتي تجعلني قادرا على أن أُثمن الأشياء الإيجابية وأن احترز من الأشياء السلبية، وعليه عندما أتحاور مع الآخر سأطبق الآلية ذاتها عليه، أي تثمين الإيجابي والاحتراز من السلبي.

يحاول سهيل أن يُقدم الحوار الذاتي على أنه حوار عقلاني من منطلق أن العقلانية متى حضرت في أي عمل من الأعمال فإنها توجه توجيها سليما :" قبل أن يبدأ الحوار العقلاني مع الآخر، يتوجب بداية أن يجريه المرء مع نفسه، بحيث يسعى فيه لتحليل الجوانب المسالمة والأخرى الردعية في قوله وفعله، فالحوار الذي يرتكز على منطق العقل ومخزون العاطفة، يبدأ بالمقارنة المنهجية بين

ISSN: 1112-4083

الشك واليقين بين فكرة وفكرة وبين سلوك وسلوك. وكل هذا يدور ضمن دائرة الإنسان الواحد، والعقيدة الواحدة والدين الواحد والثقافة الواحدة. والهدف من ذلك، ليس "المونولوغ" النرجسي مع الذات بل التّوق الدائم للذات من أجل توسيع المقاربة العقلانية النقدية للذات نفسها، وتوسيع مساحات الحكمة والسلام والمحبة ضمن الدائرة الواحدة لتعميمها لاحقاءمع الدائرة أو الدوائر الأخرى، فمن أجل تقريب المسافة بين حكمة العقل ودفء القلب، يتوجب على الإنسان أن يعرف نفسه. هكذا علمنا أب الفلسفة سقراط، فالمعرفة العميقة المعقلنة للذات والمنتشية بروحانية الإيمان وبالقيم الإنسانية المشتركة هي المفتاح للولوج إلى عملية التناغم بين الإنسان كفرد وبين إخوته البشر، وبين هؤلاء ومحيطهم الطبيعي الكوني." (سهيل، ف & وأليغ، ك، 2008، 13)

إن الحوار الذاتي كتجربة فردية هو مقدمة نفسية للولوج إلى عتبة الحوار المفتوح الذي يقتضي وجود المخالف الذي هو الآخر، وقياسا على تجربة الحوار مع الذات يُمكن أن ينخرط المُحاور في حوار مع الآخر دون خوف أو شعور يعيق عملية التّحاور.

ثانياً: الحوار المفتوح:

يُعتبر الحوار المفتوح عند سهيل هو تجربة اجتماعية وحضارية، فهو حوار مفتوح على الآخر المتنوع والمتعدد، المتضاد والمتناقض والمتداخل، الشرس والطيب والخائف، الأناني والإنساني والحذر. فهو مفتوح على أسس فهم الآخر من أجل التواصل والتحاور لا من أجل الغلبة والسيطرة، هو حوار مفتوح على توحيد القيم الإنسانية المشتركة بين الجميع ... فالآخر هو الشريك في عملية التواصل الحضاري:" لا بد أن يكون في الحوار شريك منفتح، لأن في الحوار المنفتح تتلاقى روح الطرفين ومعهما رغبتهما المشتركة في المزيد من التقارب والتفاعل، في الحوار تتحقق الشراكة المتبادلة بين المتكلمين، فكل طرف يحمل أفكاره وتجاربه ونصوصه وحقائقه. وفن الحوار هو القدرة على تبيان حقيقة وجهة نظر سلوكية الآخر، فأفكارنا وحقائقنا كأرثوذكس ومسلمين يمكن تصحيحها وتعميقها من خلال التواصل الدافئ واللقاء الخلاّق مع الأفكار والحقائق التي يحملها المحاور الآخر. والحوار في هذا السياق هو الولوج الحقيقي في توسيع مساحات المعرفة والتحرر من الأفكار المغلوطة عن الذات والآخر. كما أن الحقيقة كما يقول أحد حكماء المشرق الكبار، المتروبوليت جورج خضر" لا يلدها قلب منغلق، إنها تنزل على فكرين الواحد منهما على الآخر" (سهيل، ف & وأليغ، ك، 2008، 14).

ثالثاً : المساواة في نقاط القوة:

لا ينجح أي حوار في العالم إذا لم يستند على مبدأ المساواة في نقاط القوة، فالمحاور الذي يشعر أن الآخر لا يعترف به كشريك ويُبخس حقه وقيمه، ويُعامل كطرف دوني أو كأهلي متخلف سيكون سلوكه سلوك المدافع الرافض للأخر المتكبر .. عندئذ يصبح الحوار حوار مغلقا لأن كل محاور يريد غايات تعاكس الآخر، فيصل الحوار إلى طريق مسدود قد يُشعل حربا بدل أن يُرسى سلما ... وعليه، فإنه من الضروري جدا أن يعترف كل طرف أن نقاط القوة متساوية بين الأطراف المتحاورة، بل أنا أذهب أكثر من سهيل إلى القول إن نقاط الحق متساوية أيضا ... والجانب الثاني لا بد أن نقر أن التساوي يمس نقاط الضعف والخطأ .. إن الحوار المفتوح هو الذي يُقر أن الأخر له من الحق والقوة مثلما لي كما له حظ من الضعف والخطأ مثلما لي تماما، إن هذا الاعتراف كفيل بتواضع ذات المحاور، وكلما تواضع الناس كلما كان بالإمكان الوصول إلى نقاط التفاهم، التماس، والتعايش.

إن فكرة المساواة التي يطرحها سهيل فرح تحمل بعض خصوصيات العقلانية نلمسها في قوله :" المساواة أمام نقاط القوة ونقاط الضعف في الشخصيتين الإسلامية والأرثوذكسية أمام الإنسان كقيمة كونية وأمام خالق الإنسان والكون، فلكل منا نقاط قوته وضعفه حيال كل المسائل الوجودية الحياتية." (سهيل، ف & وأليغ، ك، 2008، 14)

رابعاً: قيم الإصغاء والتمعن

إن التكبر والتعالي عن الأخر يجعل الذات المتعجرفة لا تصغي للأخر، وعدم التمعن والإصغاء يجعل الحوار مجرد شعار أجوف، لأن الحوار العقلاني يتميز باحترام الأطراف المتحاورة لبعضها البعض، واحترام الطرف الآخر يتجلى من خلال الإصغاء إليه وتثمين نقاط قوته، لأن الحوار العقلاني ليس بمناظرة أو مساجلة تنفك آخر الأمر عن غالب ومغلوب بل هو في حقيقته معرفة الآخر، يقول سهيل فرح :" الاحترام التام للآخر وقبوله والإصغاء إليه، فالحوار لا يقوم على محاولة إقناع الآخر بصحة أقواله ونصوصه وتجاربه من خلال دحض أقوال ونصوص وتجارب الآخر، بل يتوجب أن يستند إلى التوضيح والفهم والتعلم والتواضع، فالمبدأ السيكولوجي والسلوكي الذي يفترض أن يسيّر علاقتنا مع ذاتنا الثقافية ومع الذات الثقافية للآخر هو الإقرار بمبادئ الموضوعية والنسبية في النظرة إلى إسهام كل واحد منا في صنع الحضارة. وهذا الذي يفرض دائماء على ألا توهم الذات الفردية والجماعية لحضارة ما نفسها باستبعاد الآخر وإقصائه وتحقيره وعدم

ISSN: 1112-4083

احترامه، بل التّواصل الطوعي والاقتراب منه والتعاطف الفعلي معه والإسهام العملي في حل مصاعبه والإعجاب بمنجزاته التاريخية والحاضرة." (سهيل، ف& وأليغ، ك، 2008، 14)

خامسًا: حرية الحواروإستقلالية المحاور

الحوار العقلاني يشترط الحرية وإلا فقد مسوغات حضوره، فانعدام الحرية يعني أن الحوار يتجه نحو المساجلة والمناظرة المُوجهة، وبالتالي يفقد جوهر الحوار والمتمثل في معرفة الآخر، وتصبح الإيديولوجية والنزعة الثيموسية هي التي تُؤطره، ويفرض وجود الحرية أن يكون المحاور مستقل استقلالية تامة، ولا يخضع للوصاية أو التوجيه، فالحوار الموجه دينيا أو سياسيا من قبل هيئة أو مؤسسة يقتل الحوار أصلا : "يفترض أن يكون المحاور ذو إرادة حرة، فالحوار يستدعي من صاحبه الاستقلالية في الرأي والحكمة والاطلاع المعرفي الواسع، لا التّقيد الصارم بحرفية النصوص، والطاعة العمياء لحراس العقيدة، والاستسلام لمخلفات الذاكرة التاريخية المليئة بالمشاحنات، فقبل أن يأتي المرء للحوار مع الآخر ينبغي عليه أن يُطهر عقله ونفسه، متحررا من عقده وعصبيته وتقوقعه النرجسي حول ذاته الدينية والدنيوية.

يعانق الحوار أصحابه عندما يدخلون "معبد" اللقاء وهم متوجون بالعقل الواسع والقلب الحار والإرادة الحرة. وهذا يؤدي لا محالة إلى معرفة أفضل للذات من خلال مقارنتها مع الذات الأخرى، ويؤدي أيضا إلى تذوق أعمق للكنوز الثقافية والروحية التي أنتجتها وتنتجها العقول المبدعة والقلوب الطاهرة." (سهيل، ف & وأليغ، ك، 2008، 15)

سادساً: شمولية الحوار

يلجأ كثير من المفكرين إلى عملية تهذيب الحوار وفق عملية انتقاء بعض الموضوعات، والتي غالبا ما تخدم الجميع أو طرف ما، بيد أن الحوار العقلاني عند سهيل يفترض عدم تجزئة موضوعات الحوار، فالحوار العقلاني شامل ومكتمل، يتعرض لكل المسائل سواء أكانت كلية أو جزئية، ولا بد أن يتعرض للعناصر الهامة الآتية:

أ-حوار المفاهيم حول القيم الروحية والأخلاقية.

ب-حوار الدنيويات، أي إقامة شبكة واسعة من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في سائر الحقول العلمية للحياة، حيث تتعاون فيها المصالح وتتكامل.

ج-حوار المساجلة والنقاش و"المناقشة" الديمقراطية، من أجل تنشيط الروح العقلانية النقدية البناءة للذات والآخر.

د-حوار التجارب أي إخضاع التجارب الإيجابية والسلبية للمقاربة السوسيولوجية.

ISSN: 1112-4083

سابعًا: حوار التبادل والتفاعل

إن الغاية من الحّوار هي الإفادة والاستفادة، أي تبادل المنافع، فعن طريق الحوار العقلاني المفتوح يمكن أن يتبادل المُتحاورون المنافع والقواسم المشتركة، لأن الحوار الهادف يقوم على تثمين الإيجابي لدى كل طرف مما يخلق جدلية التأثر والتأثير، والتي تنتج علاقة تفاعلية إيجابية تؤدي إلى تركيبة جديدة مفعمة بالإنسانية والخير، وتزداد فيها مساحة الإيجابيات والجماليات والإنسانيات والروحانيات.. ويعتقد سهيل أن تبادل المنافع والتجارب قادر على جعل الحضارات تتفاعلا تفاعلا إيجابيا وتبتعد عن مفاهيم الصدام والصراع، يقول في هذا الصدد :" وتجارب التفاعل الإيجابي بين الحضارات على مستوى فنون العمارة والرسم وكافة الفنون الأخرى، وتبادل الخبرات في إدارة الاقتصاد والمجتمع، وأيضاً على مستوى الزيجات المختلطة والاختلاط الودي المشترك، لهي خير دليل على أن عملية التفاعل الإيجابي في التاريخ يمكن تكرارها بشكل أوسع في الحاضر وابتكار طرق أنجح لصنع المستقبل المشترك." (سهيل، ف & وأليغ، ك، 2008، 15 &16)

2- عوائق الحوار العقلاني

يدرك سهيل فرح أن الحوار العقلاني الذي يدعو ويُنظر له تعترضه عوائق وحواجز، ولا بد من معرفة تلك العوائق أولا لكي يتسنى لنا تجاوزها. إن العلم عبر تاريخه استطاع أن يتجاوز عوائقه وأخطائه من منظور ابستيمي قائم على معرفة العوائق ثم محاولة تجاوزها. والحوار العقلاني ذاته يتحتم عليه أن يمُر بمرحلة رصد العوائق، والتي اختصرها سهيل في العناصر التالية:

1-عائق الاختلاف

خلق الله الناس من طينة واحدة، بيد أن حكمته اقتصت الاختلاف في اللسان واللون وطرق العيش والتفكير، ويصبح الاختلاف هو المؤسس لمبدأ الهُوية والتّمايز، فنتيجة ظاهرة الاختلاف وجدت الهُوية كمبدأ يؤصل الذّات عن الآخر، وحكمة الاختلاف ليست في التناقص والتصارع والتصادم بل في التعارف والتآلف، جاء في القرآن قوله تعالي: ﴿ياأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا. إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات، الآية 13.] إن معيار الأفضلية عند الله ليس الدين ولا العرق ولا اللغة بل من يُحقق الغاية من وجود الإنسان، والمتمثلة في الخير وحب الناس أجمعين.

والأمر ذاته نجده في كثير من الكتابات الداعية إلى وعي الاختلاف كظاهرة ربانية تحمل حكما وغايات، لخص سهيل في قوله:" إن الله خلقنا مختلفين ودعانا إلى التّعاون والحوار، لكي نعمّر هذه الدنيا بالعدل والسلام." (جريدة النّهار، 15 أيلول 2002، ص 11.)

ISSN: 1112-4083

إن وعي الاختلاف يفرض على الأطراف المتحاورة إدراك أن جوهر الحياة يكمن في الاختلاف أصلا، فهو يشكل عائقا طبيعيا وتاريخيا غير أنه في الوقت نفسه يشكل واجبا حياتيا:" ورغم أن الاختلاف يشكل العائق الطبيعي أمام أن يتماهى كل طرف مع الآخر، إلا أنه يفرض نفسه على أطراف الحوار، ليُشكل الحوار بدوره واجبًا حياتياً، واجبًا أخلاقيًا ودينيًا، فهو لكونه حوارًا بين أناس مختلفين، فإنه بحد ذاته مغامرة، يعني أنه يحصل بين بشر متنوعي المشارب الإثنية والثقافية، ويخضع بدوره لشروط قد تضع قيوداً على الحرية والعدالة والسلام." (سهيل، ف & وأليغ، ك، 2008، 16)

2-غياب الأنثربولوجيا والعقلانية

يعتقد سهيل أن غياب الدّراسات الأنثروبولوجية يعتبر من بين العوائق الأساس لكونها تمكن الإنسان من فهم الإنسان كبنية تركيبية من عوامل متنوعة اجتماعية وبيولوجية ونفسية، ولكنها تقر في الوقت نفسه أن الجوهر الإنساني واحد.

يتمثل العائق الثاني في غياب العقلانية في دراسة الإنسان دراسة موضوعية بعيدة عن الذاكرة التاريخية الحبلى بمقولات الأنا المُمجد لذاته وتاريخه. يقول سهيل: "فالمقاربة الأنثروبولوجية للإنسان تنظر إلى التركيبة البشرية المكونة من عناصر بيولوجية ونفسية وعقلية حتى روحية واحدة، وما ظاهرة التنوع والاختلاف إلا مظاهر لجوهر إنساني واحد، وإذا أردنا أن نخضع الوعي الديني والثقافي للتحليل الأنثروبولوجي، فلم يعد يسكننا هاجس مكمن الحقيقة أو الخطأ في الخيارات، بقدر ما يهمنا ما تفرزه السلوكية الحياتية والثقافية من طاقة ايجابية أو سلبية، فالمقاربة الأنثروبولوجية للأديان على سبيل المثال قد تكون فيها مساحة الموضوعية أوسع من أي مقاربة أخرى تحمل طابعاً ضيقاً. وهي تساعد على فهم الروح البشرية الواحدة الكامنة وراء خصوصية هذا الدين أو الشعب أو الثقافة، وفي غياب النظرة العقلانية النقدية للذات، يكون المرء أسير تاريخه، ونصه ولغته الدينية والدنيوية، مما يجعله مع الزمن يكرر أخطاءه ويجتر أوهامه ويعمق من رؤيته النرجسية الذاتوية لهويته وحضارته." (سهيل، ف & وأليغ، ك، 2008، 17)

3-الذاكرة التاريخية

إن الإنسان ابن الماضي سواء البعيد أو القريب، ويسيطر الماضي على الإنسان سيطرة لاشعورية لكونه يحمل تلك النزعة السحرية التي من خلالها يُمجد ذاته المهزومة أو المأزومة. لقد تشكلت لدى

كل إنسان ذاكرة تاريخية تُعتبر المخزون الذي تنهم منه الذات مرجعياتها ومنطلقاتها الهُوياتية التي تؤسس لفعل الاختلاف والتّميز.

إن الحوار الذي لا يتحرر من الذّاكرة التّاريخية لا يمكنه أن يتقدم أو يصل إلى نتائج إيجابية، لأن حضور الذاكرة التاريخية يوقظ في الطرفين صور الخوف من الآخر، فلكل طرف من الأطراف نقاط الخوف والحذر، فالمسلمون على سبيل المثال يعتبرون الحروب الصليبية نقطة حذر وخوف مستمر، والغرب المسيحي يعتبر المسلمين نقطة خوف فاحتلال الأندلس ووصول الجيوش الإسلامية إلى فيينا تشكل دوما بؤرة للخوف المستمر.

وقد أورد سهيل صورا أخرى للذاكرة التاريخية المشحونة بين المسلمين والغرب المسيحي لا تتعلق بما ذكرته سابقا، بل هو يقدم صور التطاحن بين الأرثوذكس والمسلمين: " العائق الثالث البارز هو ثقل الذاكرة التاريخية على الطرفين، فالخلافات بين الأرثوذكس والمسلمين لها جذور متعلقة بتمايز النصوص والطقوس، ومرتبطة بالصراعات التي دارت بينهما على مدى عصور كثيرة على مناطق النفوذ، والتي أدت إلى صراعات ومشاحنات وحروب كثيرة. وإذا أردنا أن نجري توضيحاً سريعاً للعلاقة التاريخية بين العالمين الأرثوذكسي والإسلامي فإن المرحلة الأولى شهدت صراعات دموية بين المسلمين والبيزنطيين هيمنت عليها المعرفة المنقوصة والتجاهل واللامبالاة حيال إيمان الآخر، والتي لم تخلُ أحياناً من مشاعر الازدراء والاستهتار. تلك المرحلة انتقلت مع الزمن من الحالة الإقصائية إلى الحالة التبشيرية ومن ثم تطورت في بعض المناطق إلى الحالة الحوارية الإيجابية. بيد أن انتقال الأمور من حالة إلى حالة لم يكن بالوتيرة نفسها واحداً في العالمين، فهناك حالات ما زالت تذكرنا بنقاط التفجر الماضية بين الأتراك والبيزنطيين والتي برزت في السنين الخمسين الماضية." (سهيل، ف & وأليغ، ك، 2008، 17)

وللتحرر من عائق الذاكرة التاريخية المشحونة يجب رسم استراتيجية معرفية تقوم على أربع نقاط رئيسة:

أ-الدراسة المتأنية لمخلفات الذاكرة التاريخية ولقوتها الراهنة.

ب-إتباع المنهج المقارن بعين أنثروبولوجية موضوعية.

ج-دراسة حركة التجاذب بين اللغة الدينية واللغة التاريخية والفكر الذي يحمل هاتين اللغتين.

د-تبيان مسببات حالات التوتر بين ما يقوله العقل العلمي المتواضع وبين ما تفرزه المتخيلات الاجتماعية من أوهام ومخاوف دائمة.

ISSN: 1112-4083

إن تلك النقاط بإمكانها أن تؤسس فعلا لأرضية عقلانية لحوار مثمر بين الديانات والحضارات، تقوم على مبدأ الإقرار أن قيم الخير والحق والجمال ملك لكل الشعوب والقبائل، ولعل محمد أركون لخصها في الفقرة التالية:" تزداد [المعرفة] غنى وانتشاراً، عندما تملك معايير دقيقة لتحقيق الحق والخير والجمال وبحيث لا يكون الحق والخير والجمال حقاً وخيراً وجمالاً بالنسبة للعشيرة أو القبيلة أو المجموعة أو الجماعة أو الأمة فقط، بل بالنسبة إلى مجموع البشر." (أركون، م، 1996، 232).

4- أدلجة الحوار

ينطلق سهيل في تحليل العائق الرابع الذي ربطه بالجهل المركب، ولكنني على دراية منى عنونته بأدلجة الحوار، فالجهل متعمد لأنه تغذيه إيديولوجية طمس الآخر، وهي إيديولوجية تنبع من القيم السياسية والاجتماعية التي تحاول أن ترسم الكمال للأنا فقط، وتقدم الآخر على أنه منحط أو مدنس أو خارج حظيرة الرب.

إن الحوار المؤدلج ينتهي من حيث بدأ، فالجهل المركب بقيم الآخر ونصوصه يحجب الحقيقية، فلعل الفرق بين طرفين لا يتعدى بعض الفروع وبعض الأصول، ولا يمكن أن نكتشف حقيقة التقارب بين الأطراف إلى عندما نهدم إيديولوجية الصفوة والنخبة والفرقة الناجية.

يقول سهيل فرح:" العائق الرابع الذي يحول دون فتح أبواب الحوار مشرعة، هو الجهل بالنصوص والنفوس. والجهل كما يقول الفيلسوف الألماني هولباخ هو أبو الخطايا." (سهيل، ف & وأليغ، ك، 2008، 18)

إن الخروج من حلقة الجهل المركب أو منطق الإيديولوجيا القاتلة يقترح سهيل أن يتمعن كل طرف في النصوص الدينية المؤصلة التي تدفع الناس إلى الحوار والتعاون والتسامح، فلقد قال النبي عيسى على لسان: " أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات، فإنه يُشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين." (العهد الجديد، متى5، 45/44)

والمقام ذاته نجده في القرآن في كثير من الآيات: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.[سورة الحجرات، الآية: 13]

يمكن إجراء مقابلة بين نصوص الإنجيل ونصوص القرآن الداعية إلى الحكمة والموعظة الحسنة، ففي رسالة بطرس الرسول إلى المسيحيين يقول: "كونوا مستعدين لأن تقدموا جواباً مقنعاً، لكل من يسألكم عن سبب الرجاء الذي في داخلكم بوداعة واحترام." (العهد الجديد . الرسالة الأولى 3: 15.)

وفي القرآن أية لخصت العلاقة بين الناس في المعادلة الإنسانية الاتية: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [سورة النحل، الآية: 125.]

ويقدم سهيل مجموعة أخرى من النّصوص المؤسسة للحوار المثمر بين الفرقاء من أبناء آدم ، فالحوار دعوة ربانية قبل أن تكون دعوة إنسانية بشرية، يقول بولس :" ليكن دائما كلامكم كل حين بنعمة، مصلحاً بملح ... فتعرّفوا كيف ينبغي لكم أن تجيبوا كل إنسان." (العهد الجديد : كولوسي 4: 6.)

وفي سورة آل عمران يقول القرآن الكريم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ.﴾ [آل عمران، الآية: 64.]

إن التحرر من ظاهرة الجهل المركب والتحرر من نزعة توجيه الحّوار وفق إيديولوجية التّفوق والغلبة كفيل بدفع التّقارب بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي إلى فضاء التعايش والاحترام المتبادل.

5-الصراع بين المنظومات الدينية والعلمانية

ظل الصراع بين الأطراف المتدينة والعلمانية محتدما منذ النهضة الأوروبية، فالصراع دوما يتعلق بإشكالية فهم قضايا الوجود والغيب، فالمنظومات الدّينية تحاول أن تجيب إجابات قطعية وفق الترسانة النصية المتراكمة تاريخيا، بينما المنظومات العلمانية تحاول أن تفهم الوجود وقضايا الدنيا وفق تصورات العقل والتجربة الإنسانية، يقول سهيل موضحا عمق الصراع : "العائق الخامس هو الصراع الضاري بين المقاربة العلمانية والمقاربة الدينية لقضايا الوجود والدنيا،

ISSN: 1112-4083

فغياب الاعتراف المتبادل بالحدود المعرفية والإمكانيات العقلية والمادية والروحية لكل طرف يجعل مساحات التّوتر دائمة الحضور بينهما." (سهيل، ف & وأليغ، ك، 2008، 20)

إن النظر في تركيبة المنظومتين يقودنا إلى القول بخطأ التصورين معا، فالحياة والوجود أكبر من أن يُفهما بمنظار واحد، فالإيمان ضروري ولكنه غير كاف، والعقل ضروري ولكنه ناقص، وبالتالي يمكن إحداث تكامل بينهما كما يتصوره عمر أدريسوف:"لا يمكن أن يكون هناك إحياء روحي بدون البحث، بدون المعرفة، بدون التّفاعل والحوار الخلاّق بين العلم والدين بدون الحوار بين الأديان. وكما يبدو لي فإن مشيئة الرب تحل علينا حين تتعاون الأديان والعلوم فهي تسير في اتجاه واحد وهو معرفة العالم. وطريق معرفة العالم هو الطريق إلى الله" (إدريسوف، ع، 1996، 3&4)

6-التداخل بين الحقول المعرفية والسلوكية

تعتبر عملية إنتاج الأحكام الجاهزة على الآخر من أسهل العمليات الثقافية، فإصدار حكم لا يتطلب سوى قرائن وشواهد تستند على الفعل والقول، غير أن الحكم في أغلب الأحيان ينطلق من الطقوس والمظاهر السلوكية الناتجة بفعل العرف والعادة، فتصبح تلك الأعراف والعادات في مقام القواعد والأركان، عندئذ ينتج الخلط بين ما هو رئيس وجوهري وبين ما هو فرعي وعرضي، فنحكم على الآخر وفق ما هو عرضي وفرعي ونُهْمِل الرئيس والجوهري. ومن المعلوم أن الاختلاف يقع في دائرة العرضي والهامشي بينما التوافق يحضر في دائرة ما هو ركن، يحدد سهيل ذلك العائق في قوله: "العائق السادس الخلط بين البعد الثقافي للدين والبعد الطقوسي والتداخل المصطنع بين السياسي والديني." (سهيل، ف & وأليغ، ك، 2008، 20)

7-الديمقراطية المنقوصة

يتطلب قبول الآخر كشريك حضاري وإنساني ثقافة ديمقراطية واسعة، لأن السلوك الدّيمقراطي يفتح أعين النّاس على مبادئ التفاهم والاختلاف، وشرط الحرية كأهم قاعدة من قواعد الديمقراطية. إن غياب الثقافة الدّيمقراطية يمثل عائق مشل لأي تقدم في العلاقات الحوارية:" فغياب الثقافة الديمقراطية والممارسة الديمقراطية في هذين العالمين يجعل معظم أنظمة الحكم منها أقرب إلى الأنظمة المتسلطة. والكثير من هذه الأنظمة التي لم تستطع أن تثبت حكمها بالاستناد إلى النظام الديمقراطي، تلجأ إلى موروثها الديني أو السياسي القديم. ومن أجل تبرير لا بل تأبيد حضورها وسياستها، فهي تمارس سياسة "التحديث" من خلال خطاب إيديولوجي وديني معين مع جمهورها الشعبي حيث تجري محاولة "توفيقية "بين اللهث وراء قيم الحضارة المادية ومبتكراتها التكنولوجية، وبين الرجوع إلى الموروث السلف، الرامي "إسلامياً" عند البعض إلى إعادة التفكير

ISSN: 1112-4083

بإقامة الدولة الدينية المستوحاة من تجربة دولة "المدينة"، أو العودة "أرثوذكسياً" في الحضارة الروسية على سبيل المثال لإقامة دولة روسيا المقدسة أو روما الثالثة كما ينظر لها العديد من الكتاب الروس." (سهيل، ف & وأليغ، ك، 2008، 22)

3-دراسة نقدية لتصورات سهيل فرح حول مفهوم الحوار العقلاني

1-جوانب القوة في رؤى سهيل فرح

تمتاز رؤى سهيل فرح بالروح الإنسانية، وحضور النظرة العقلانية التي حددت طبيعة الحوار، فالحوار العقلاني المفتوح يُعتبر من أهم نقاط القوة في تصورات سهيل فرح، فالحوار المُقترح يحاول من خلاله أن يتقدم إنسانيا لا استراتيجيا، فهو يحاول قدر الإمكان إنجاح الحوار من خلال الابتعاد عن مثبطات الحوار أصلا.

ويمتاز عرضه بالنقد الإبستيمي لأشكال الحوار غير المنتج، ولقد استطاع من خلال تجربته العلمية أن يَحصُر عوائق الحوار العقلاني، ثم حدد في الإطار ذاته كيفية تجاوزها. إن العوائق التي طرحها سهيل تعتبر فعلا من أسباب فشل التقارب بين العالمين الإسلامي والمسيحي، وبالتالي يُمكن لرؤيته الثاقبة أن ترسم ملامح حوار متقدم لا يلغي الآخر بل يُمجده ويُثمن ما لديه من نقاط القوة والحق والجمال.

يدرك سهيل فرح أن الحوار العقلاني يفترض جملة من المحفزات والآليات التي تدفعه نحو الأمام، والتي يمكن أن تُقلل من حضور العوائق المشلة لكل حوار إنساني. ويمكن ذكر تلك المحفزات في العناصر التالية:

1- القواسم المشتركة: تعتبر فعلا من أهم محفزات الحوار، لأن القواسم المشتركة هي نقطة تقاطع بين العالمين، وتصبح القاعدة التالية هي أرضية الخوار: لنعمل قيما نشترك فيه، وليعذر بعضنا بعضا قيما اختلفنا فيه.

إن سهيل استطاع من خلال النموذج الأرثوذكسي والإسلامي أن يضع جملة من نقاط التقارب والتقاطع، ويمكن أن نحدد تلك النقاط بين أي أطراف متحاورة. وعندما ندرس النقاط التي وضعها سهيل نلاحظ فعلا أنها تحمل صفة التقاطع والتشارك بين النموذجين، وهي على النحو الآتي:

1-إن كل من الأرثوذكسية والإسلام ينتميان إلى روح الشرق.

2-إن العالم الأرثوذكسي والعالم الإسلامي يملكان تراثاً إيمانيًا يستند إلى المبدأ الأزلي المؤمن بالإله الواحد الأحد. وكلاهما ثقافتهما الحياتية تعطي الأولوية للروحانيات على الماديات.

3-إن العالم الأرثوذكسي والعالم الإسلامي كانا وما زالا يعيشان تقريباً بعيدين عن الاستفادة من منجزات الحداثة وما بعدها.

4-إن العالم الأرثوذكسي والعالم الإسلامي يحتويان على أوسع فئة من الناس المعذبين والمحرومين من خيرات هذا الكوكب المادية والمعنوية والمعلوماتية. ولعلهم يتصدرون قائمة الذين لا يتنعمون بقيم العدالة والسيادة والكرامة.

إن العالم الأرثوذكسي والعالم الإسلامي قد يتصدران قائمة المتضررين من خطر العولمة الثقافية، وذلك نظراً لغنى الإرث الثقافي لشعوبهم ولتصاعد وتيرة الحالة العدوانية التي تفرزها الجوانب السلبية من العولمة المؤمركة حيالهما.

2-هاجس إنقاذ القيم الإنسانية: تعتبر أزمة العالم المعاصر وإفلاسه مشكلة الجميع، فكل الأطراف المتناقضة ظاهريا تحلم بإنقاذ العالم من الهلاك والفوضى الأخلاقية، فالديانة المسيحية والإسلامية تعملان بجد من أجل إعادة الناس إلى عالم الروحانيات والأخلاق، وأصبح اليوم جليا أن إصلاح العالم الواحد لا يمكن إذا تُرك العالم الثاني بدون إصلاح، لذا فكل من العالمين يعملان على إنقاذ القيم الإنسانية من ثقافة المادة والعولمة العادمة للقيم أصلا.

3- **التمازج والتفاعل**: يعتقد سهيل أن القيم الإيجابية ليس لها حدود أو أطر تُسيجها، بل هي قيم مفتوحة ومنتشرة، تتطلب منا التمازج والتفاعل، ويعتبر هذا العنصر رجاء وأملا يقدمه سهيل على الوتيرة التالية :" والأمل المرتجى المطلوب من الطاقات الفكرية والسياسية المتواجدة في المؤسستين الدينية والدنيوية عند الأرثوذكس والمسلمين هو السعي الدائب من أجل أن يقدم المسيحي-الأرثوذكسي صورة للإسلام يتمكن المسلم فيها من رؤية نفسه فيها، وأن يقدم المسلم بدوره صورة يستطيع الأرثوذكسي – المسيحي أن يرى نفسه فيها." (سهيل، ف & وأليغ، ك، 2008، 24)

4- **الرهان على الأنتلجنسيا**: إن حوار العوام وأصناف العلماء لا يؤدي إلا للتطرف والتقوقع، لذا من أكبر محفزات الحوار العقلاني ولوج العلماء الأجلاء والمفكرين والفلاسفة حلبة الحوار، لأن حضور النخبة والصفوة يضمن الموضوعية النسبية وروح التقارب. أما حضور أنصاف العلماء فهو يوجه الحوار نحو أفق مسدود ومكاسب ضيقة تنتهي عند حدود التطرف والتعصب.

5-**الحوار لغة كونية**: الحوار لغة تتعالى عن اللغات التواصلية، لأن الحوار لا يعترف بسيادة لغة بل يعترف بسيادة القيم، إن على الأطراف المتحاورة أن تجعل الحوار اللغة الكونية التي ينتصر لها العقل والقلب.

ISSN: 1112-4083

6- رمزية الأماكن المشتركة: الرموز المكانية بين العالمين كثيرة، ويمكن استثمارها من أجل التقارب والتآلف، فالقدس على سبيل المثال تعتبر مدينة مثالية ترمز إلى السلام والبلد الجامع.

7- **الثلاثية الكونية**: تدور الحياة الدينية في العالمين على ثلاثية كونية متلازمة هي: الله والإنسان والطبيعة. ويمكن التمعن في هذه الثلاثية من رسم معالم وحدة الهدف والغاية، ووحدة الموضوع.

8- جدلية العقل والقلب: يعتقد سهيل فرح أن الحوار العقلاني تؤطره وتحفزه جدلية أزلية هي جدلية العقل والقلب، فالحوار العقلاني ينطلق من العقل إلى القلب ثم ينعكس من القلب إلى العقل.

2- رؤى نقدية

لقد وضحنا أهم نقاط القوة في تصورات سهيل، والتي نتشارك معه في معظمها، غير أنني أقف من تصوراته موقفا نقديا وحذرا، والنقد الموجه أسفله لا ينتقص من قيمة الطرح بل يقويه، لأن في النقد ومعه تتطور المعرفة وتتضح الصور.

1-إيديولوجية سهيل عائق في حد ذاته.

ينطلق سهيل في جل تصوراته من فكرة وجود علمانية مؤمنة، تقوم على مبادئ العلمانية ولكنها لا تنفي الإيمان، بل تسيران حسب رأيه وفق تلازمية متناغمة. واعتقد أن سهيل يؤسس لمكر إيديولوجي آخر، فهو يريد أن يُسالم أنصار الإيمان من خلال القول بضرورة الإيمان رغم ممارسة العلمانية كفعل. إذا، نحن أمام إيديولوجية خطيرة جدا، تحاول أن ترسم طريقة تنهي الصراع القائم بين المدرسة العلمانية والمدرسة الدينية، بتوليفة لا تصمد طويلا أمام الفكر الديني. وأعتقد جزما أنه حل تلفيقي لا توفيقي، لأن سهيل ذاته محكوم بإيديولوجيته العلمانية أصلا، فمقولة الإيمان مجرد شكل من أشكال التواري والاشتباه يُمارسها سهيل حتى يتقى غضب وهجوم أنصار الإيمان، وعليه، يصبح الحوار العقلاني المُنظر له مجرد شعارات تخفي إيديولوجية علمانية أصلا.

والملاحظ أيضا، أن جل كتابات سهيل تتجه نحو الحوار الإسلامي الأرذودكسي أو الحوار العربي الروسي، مما يجعلنا نتساءل لما يختار سهيل تلك النماذج فقط.؟

هل لأنه تعلم وتزوج بروسيا؟ أم أنه نوع من الحنين الذي تفرضه ذاكرة المكان والشباب؟ أم نظرا لمصالح سهيل ذاته في روسيا؟

2-إنسانية سهيل و أنانية المؤسسات

أؤمن إيمانا جازما أن سهيل فرح يمتلك نزعة إنسانية مفتوحة، فهو إنساني مفرط في إنسانيته، وقد تكون الإنسانية المفرطة في أغلب الأحيان نزوع يطوبي، ونظرة حالمة تصلح أن تكون في المدن الفاضلة عبر التاريخ، لأننا نعيش في عالم محكوم بالمؤسسات، ولكل مؤسسة مصالح ومقاصد، تتحول بفعل التناقض والتضارب إلى مؤسسات أنانية لا تفكر إلا في مصالحها وأهدافها، فالحوار العقلاني الإنساني مجرد استراتيجية لتحقيق أكبر عدد ممكن من المصالح على حساب الآخر.

إن تجربتي المتواضعة، تجعلني أقف موقفا حذرا من مقولات النزعة الإنسانية، فالاستعمار المعاصر يشن الحرب على دول العالم (غير الغربي) بحجة النزعة الإنسانية والحرية، والغرب يستحمر الشعوب وأجهزته ومعالمه الأنثروبولوجية تدعو إلى الإنسانية وتحضير الشّعوب الهمجية، لذا اعتقد أنه من السّذاجة الإيمان بالقيم إيمانا أعمى، فالقيم عبر التاريخ لم تكن سوى شعارات جوفاء يستثمرها الأقوياء والانتهازيين للسيطرة والتغلب. إني من خلال النقد لا أدعو سهيل إلى التّخلي عن إنسانيته ولكني أريد منه أن يستعمل أيضا الحذر والمكر الإيجابي، فالعالم يلفظ النوايا الطيبة.

3-غياب الندية

وضع سهيل شرط المساواة كشرط ثالث وهام للحوار العقلاني، وأنا أعتقد أنه شرط فاقد لشرعيته أصلا، فلا يمكن الاعتراف بالمساواة إلا إذا حضرت الندية كشرط مهم، لأن الأنداد هم وحدهم القادرون على التحاور والتّجاور، فالندية هي اعتراف بالتّفوق المتبادل بين الأطراف، إن الشعور بالدونية وعدم التّفوق يُضعف الحوار، ويكون الطرف الأقل ندية أكثر ضعفا، والطرف الأقوى أكثر سيطرة على مجريات الحوار، الحال مثلما هو الآن في العالم بين دول العالم، فالحوار مع الغرب لا يُجدي نفعا ما دام الغرب يشعر بالميغالو –ثيموس، وما دام الغرب يملك سلطة القرار والفيتو، ويتحكم في الاقتصاد والعباد.

4-الاستعلاء الحضاري

الاستعلاء الحضاري ظاهرة موجودة منذ القدم، فكل شعب يعتقد نفسه شعب الله المختار، وتلك الصفة لم يتصف بها اليهود فقط بل كل الأعراق الفاعلة في التاريخ البشري، فالمسيحي يعتقد نفسه المخلص والمنقذ والمُحضر للشعوب، فبعث بجيوشه لتستحمر العالم الجنوبي بحجة أنهم عرق أدنى وهبته الطبيعة للإنسان الغربي.

والمسلم ذاته، يعتقد أنه الأعلى وخاتم البشر، فينظر لكل مخالف له في العقيدة كونه كافر أو مشرك، ويعتزم بكل قوة اجتياح العالم كله لتكون كلمة الله هي العليا، ويكون الإسلام هو الدين الشامل والعام.

إذن، فنحن أمام ظاهرة ملازمة للتاريخ، ولا يمكن لأي طرف أن يتنازل عن تلك المسحة الاستعلائية حتى ولو تبين له الخطأ فيما يعتقد، لقد قاد وهم الاستعلاء الفيلسوف هيجل إلى القول بسيادة العرق الآري، بل جعل الدولة التي سيشكلها العرق المتفوق تتحد آخر الأمر مع الرب اتحادا يُنهي التاريخ لصالح الغرب.

حاول سهيل حل تلك النزعة بالقول إنها من نتاج الجهل بقيم ونصوص الأخر، بيد أنا اعتقد أنها وعي واستراتيجية مدروسة تريد كل أمة من خلالها ترسيخ فرص وجودها في الأرض، فالآخر يعي قيم الآخر خاصة في عصر العولمة ومجتمعات المعرفة، قد يصدق رأي سهيل لو كان الأمر يعود إلى القرن الماضي، لكن الحاضر يثبت أن الآخر أصبح معلوما ومعروفا، لقد أصبحنا نعرف ثقافات حتى الشعوب التي ليس لها نصيب من التواجد الحضاري.

5-مكر السياسة العالمية

قيل إن السّياسة عصية عن التّعريف، والأمر صحيح إلى حد ما، لكن رغم ذلك يمكن تعريفها بلعبة المصالح الكبرى، فالسياسي هو الذي يستطيع وفق منهج التدبير تحصيل أكبر مكاسب ممكنة، وما دامت المكيافيلية هي السّمة العامة للسياسة الدولية فمعناه أن السياسة تسير وفق مبدأ كل شيء ممكن والغاية دوما تبرر الوسيلة، يُصبح الحوار عندئذ مجرد وسيلة نرجو من ورائها غايات قريبة وبعيدة، فما لا يمكن تحقيقه بالقوة يمكنه تحقيقه بالحوار.

عندما نتابع ما يحدث بين الدول من علاقات ومجريات، نلاحظ أن لغة الحوار والتفاهم تطغى على وسائل الإعلام والهيئات الرسمية، لكنها دعوات ماكرة تريد كسب مصالح وامتيازات لم تستطع الحرب أو القوة تُحقيقها على أرض الواقع، فحلفاء أمريكا في أفغانستان حين عجزوا على دحر طالبان طفقوا في تشكيل قنوات الحوار والتفاهم ليس حبا في شعب أفغانستان بل لأن خسائرهم في تزايد والرأي العام المحلي ضدهم.

والأمر ذاته نسجله في قضية فلسطين، فإسرائيل لا تحب الحوار ولا تفكر فيه أصلا، بل توظفه من حين لآخر بغية تحقيق بعض المكاسب التي تفقدها جراء استمرارها في سياسة التميّيز العنصري والتّطهير المنظم للشعب الفلسطيني.

إن السياسي يترجم مفهوم الحوار إلى الفعل التالي: **الحوار حرب غير معلنة**. ورجل الدين يترجمه على النّحو الآتي: **الحوار هدنة مؤقتة**.

إن مكر المصالح والسياسات يلتقي في نقطة واحدة، تتمثل في كون دعاة حوار الأديان هم عبارة عن مؤسسات استثمارية في الباطن، تستثمر في الحوار أكثر ما تستثمر في السياسة العلنية، فالسياسي الماكر يُحقق عن طريق المؤسسات الدينية ما لم تُحققه القنوات الدبلوماسية، فرجل الدين سياسي غير أنه يمثل وجه جانيس الثاني.

6-مكر الكتابة

المنظرون للحوار والسلم العالمي ليسوا بملائكة أو بإنسانيين حتى النخاع، بل أغلبهم يجعلون من الكتابة وسيلة للمكر التاريخي، ويكتبه أغلبهم تحت الطلب والعرض، أي كلما كان عرض (سياسي) حدث فعل الكتابة كرد.

فالمنظر للحوار قد لا يؤمن بالحّوار أصلا، غير أن الكتابة الماكرة تريد تحقيق من خلاله مطلب سياسي أو حضاري، لأن الكتابة تفعل فعل المخدر.

أعتقد أن أغلب من كتبوا عن الحوار والسلام كانوا مجرد مرتزقة، أو على الأقل صيادي جوائز ومناصب، فالبعض يكتب من أجل الحصول على الأوسمة والتكريمات الشرفية والنياشين التي تغدقها المؤسسات الراعية للحوار (اسما). والبعض من أجل نيل العضوية في المحافل العالمية الكبرى، إن الحوّار يتحول إلى خُوار والمؤمن به إلى مغفل وساذج. كما ألفت الانتباه أن الحوارَ المُسيس والمؤدلج لا يخرج عن قاعدة تبعية القطيع للراعي وصدق المتنبي حين قال:

وكل أرض وطأتها قدم * إلى وترعى بعبد كأنها غنم

لست ضد الحوار الإنساني ولا العقلاني، بل أنا أؤمن أن التاريخ يعمل ويتحرك وفق منطق المكر، وعلى الكيس الفطن أن يكون حذرا لأن الحذر هو الضامن الوحيد للبقاء.

إن أعظم الحيوانات انقرضت وأضعفها استمرت إلى اليوم، ليس بفعل القوة بل بفعل الحذر، وعليه نعم للحوار والانفتاح ولكن نعم أيضا للحذر والمكر الإيجابي.

وكخاتمة للمقال، نقول إن سهيل فرح قدم مشروعًا إنسانيًا لكنه مشروع محفوف بالمكر والذاتية أيضا، فسهيل الإنساني يخفى وراءه سهيل الأناني، وسهيل العقلاني يخفى وراءه سهيل العلماني، وسهيل المحاور يخفى وراءه سهيل المناور .... وعظمة الإنسان تكمن فعلا في هذه الثنائيات المتلازمة ....

*****

ISSN: 1112-4083

1- الكتب السماوية

*- القرآن الكريم

* العهد الجديد (متى).

* العهد الجيد (كولسي)

2- المصادروالمراجع

- أركون، محمد(1996). **نافذة على الإسلام**، دار عطية للنشر، بيروت.

- المطران، جورج خضر (1994). **العلاقات الإسلامية – المسيحية: قراءة في الراهن والمستقبل**. مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق. بيروت.

- سهيل فرح وأليغ كولوبوف (2008) **حوار الحضارات المعنى، الأفكار، التقنيات**، ط 1. دار علاء الدين، سوريا،

- عمر، إدريسوف(1996). الإسلام المعاصر في حوار الثقافات، نجني نوفغورد.